Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(2), February 2018

Article History

Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/Yayınlanma
14 /12/2017	24/01/2018	1/02/2018

علم اللسانيات التقابلية عند العرب والغرب تأصيل وتوصيف

د. مراد حميد العبد الله

توطئة:

يعد علم اللسانيات التقابلي من أهم موضوعات علم اللسانيات التطبيقية الذي يهتم بشكل أساس بالعملية التقابلية ما بين اللغة العربية واللغات الأخرى بأنواعها شرط إختلافها في الأسرة اللغوية، وقد أهتم البحث بالتركيز على الأصول الأولى لهذا الموضوع، ومدى براعة جهود العلماء العرب القدامى في البحث في هذا المجال من حيث دراسة اللغة العربية مع نظيراتها من اللغات ذات الانتماء الأسري الواحد أو المختلف.

أهمية البحث:

تنطلق أهمية البحث كونه أصلَّ هذه النظرية بعدِّها نظرية قديمة (اللسانيات التقابلية) وليست كما يدعي بعضهم أنها جديدة، لذلك كانت أدلتي في البحث مستندةً إلى نصوص من التراث العربي القديم والتي تناولت التقابل بين اللغة العربية واللغات الموجودة آنذاك، فعند عملية البحث في أي علم من العلوم لابد أن يكون له جذور انطلقت منها ثم نشأت وتطورت حتى وصلت بالشكل الذي نطبقه اليوم، وبما أن العلوم اللغوية هي إحدى العلوم الإنسانية التي تختص بدراسة اللغات ونشأتها وتطورها وحياتها ومماتها، فإنها إذن مرت بما مر به بقية العلوم التطبيقية والنظرية، سواء أكانت علوم علمية أم نظرية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء لأهم ما توصل إليه علماء العربية في بحثهم المتواصل عبر التاريخ وصولاً إلى عصرنا الحاضر حتى يمكننا أن نستقي شيئاً يسيراً من هذه الأسرار العجيبة في تعلم اللغات وتعليمها بين البشر، لذلك سنتعرض إلى بعض من هذه الجهود التي توصل إليها العلماء العرب القدامى من جهة والعلماء المحدثين من جهة أخرى، لنتعرف هل إن أسرار العلوم اللغوية إكتشفت دفعة واحدة؟ أم تم التوصل إلى نتائجها عبر جهود جماعية وتراكمية جمعت حقب التاريخ أجمع من الشرق والغرب ليتمخض عنها ما هو موجود بين أيدينا من علم ونظريات تطبيقية ونظرية.

هيكل البحث:

سوف يتضمن البحث في محتواه على تعريف بجهود العلماء العرب القدامى في الدرس اللساني التقابلي القديم مستعرضاً ذلك بما موجود عند علماء العرب القدامى، ومن ثم التعريف بجهود علماء الغرب المحدثين في الدرس اللساني التقابلي الحديث، لتكون في نهاية البحث الخاتمة لاهم النتائج التي توصل اليها البحث.

جهود العلماء العرب القدامى في الدرس اللساني التقابلي القديم:

لقد بدأ الدرس اللغوي عند العرب القدامى مع بزوغ فجر الدراسات النحوية التي انطلقت كرد فعل بعد انتشار اللحن وذيوع الخطأ في ألسنة العامة، خصوصاً بعد دخول الأقوام غير العربية إلى الإسلام، فدعت الحاجة إلى وضع علم يضبط هذه اللغة بعدما بدأ الخطأ يتسرب إلى قراءة النصوص والآيات القرآنية، فدأب علماء العرب القدامى أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي والكسائي والجاحظ والأصمعي على شد الرحال والذهاب للبوادي العربية والبدء في استقراء وجمع اللغة من مضانها الأصلية، فبدؤوا في معايشة الأعراب وكتابة اللغة من أفواههم، وبعدما عادوا بدأت مرحلة جديدة وهي مرحلة تصنيف ما جمعوه على شكل كتب ورسائل تُجمع فيها الألفاظ المنتمية تحت مسمى وموضوع محدد، فكان هناك –على سبيل المثال–كتاباً في أسماء الإبل وكتاباً في أسماء المطر وكتاباً في أسماء الوحوش وكتاباً في أسماء الشجر...الخ فكانت هذه المؤلفات هي النواة للدراسات اللغوية فيما بعد[1]، فبدأ الدرس اللغوي يأخذ بالاستقلال عن الدرس النحوي شيئاً فشيئاً، فأخذت الأقوام تتوافد من أجل تعلم العربية والتبحر فيها بعدِّها لغة مقدسة وهي اللغة التي أُنزل القرآن الكريم بها، فكان لهذا التوافد الفضل الأكبر في التعرف على لغات الأقوام والبلدان الأخرى مثل الفارسية والرومية والنبطية وغيرها، على الرغم من انتشار الخطأ واللحن في نطق الأصوات العربية والتراكيب النحوية، فكان للفتوحات الإسلامية الأثر السلبي على اللغة العربية آنذاك فتشوهت أصواتها وطريقة أدائها مما أدى إلى إهمال بعض الألفاظ العربية واستعمال كلمات أجنبية إحساساً منهم بان اللغة لا تفي بحاجة المتكلم آنذاك، أو شيوعها على السنة المتكلمين من الأعاجم والعرب من تلك البلاد–خصوصاً–في العصر العباسي بعد أن اتسع نطاق الاختلاط بالأعاجم وغير العرب، فضلا عن ذلك، انفتاح العرب على ثقافات الأعاجم وعلمهم وحضاراتهم أدى ذلك إلى استعمال لغاتهم وأسلوب مخاطباتهم، فالعربية صرعت عدة لغات بعد الفتوحات الإسلامية –خاصة– الفارسية في العراق والرومية في الشام والقبطية في مصر، لكن هذا الصراع بدت آثاره واضحة على العربية بشكل واضح بعد شيوع اللحن في جانبي اللغة النطقي والتركيبي[2]، فدفع ذلك العلماء إلى الاهتمام بمسألة تعليم وتعَلُّم العربية بشكلها الصحيح، خصوصاً فيما يخص الجانب النطقي للأصوات "Phonetics" من جهة والجانب التركيبي"Stricture" والنحوي"Syntactic" للغة من جهة أخرى، فدأب علماء العربية القدامى على تأليف مناهج للحفاظ على اللغة العربية – آنذاك– من الضياع.

فحين نتعرض للتراث العربي بالدراسة والبحث والتمحيص الدقيق لا نملك إلا أن نربط بين ما حققه العلماء العرب في مجال الدراسة اللغوية وبين مبادئ علم اللغة الحديث"Modern General Linguistics"، أي عندما نبدأ بتصفح بعض صفحات تاريخ اللغة العربية وجهود العلماء فيها نجدهم اهتموا بقضية تعليم اللغات وتعلمها–خصوصا تعلم العربية– ومقارنتها مع بعض اللغات التي كانت معروفة آنذاك من ناحية نطق بعض الأصوات وعدم نطق الآخر، وبينوا كيف كان الأعاجم لا ينطقون أصوات اللغة بشكلها الصحيح، مما نتج عنه تغيير في المعنى العام للكلمة تبعه خطأ في فهم المتلقي لها، وبذلك يمكننا أن نذهب إلى أن الدرس اللساني التقابلي"Contrastive Linguistics" هو درس قديم عرفه العرب وتناولوه بالشرح والإفهام عبر إشارات واضحة ترقى إلى الفهم والإفهام، فليس"علم اللسان المقارن حديث النشأة جديد الميلاد فقد كانت للعرب نظرات فيه وإشارات إليه وكتابات متفرقة عنه ولا يعني

1– انظر: البرازي، مجد محمد الباكير، فقه اللغة العربية، ص11.

2– انظر: هلال، عبد الغفار حامد، علم اللغة بين القديم والحديث، "القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ط2، 1986م"، ص27– 28.

هذا أن ما أتى به العرب كان صحيحاً وقائماً على منهج علمي دقيق...فقد كانت وسيلتهم في البحث اللغوي وتجاربهم قائمة على الملاحظة والمعاينة وكان سبيلهم للتفريق بين الأصوات معتمداً على الأذن والسماع...وفي ظل هذه الحسبة والمعاينة المفتقرة إلى الآلات والوسائل العلمية التي أنتجها عقل أوائل القرن العشرين في ظل ذلك جاؤوا بما جاؤوا"[3]، لذلك قد يتوهم بعض الدارسين أن هذا الدرس هو حديث نسبياً في نشأته وولادته ولا يرقى إلى أن يكون واحداً من أقدم المناهج التي درسها علماؤنا العرب القدامى ووقفوا عندها، لكن ما قد نلاحظه بوضوح كبير هو أن العرب القدامى لم يتوسعوا في هذه الدراسات بشكل كبير ولم يفردوا لها كتباً مستقلةً بها بل نجد لها إشارات موزعه بين الكتب اللغوية والنحوية، وكذلك لم ترق هذه الإشارات إلى وضع اصطلاحات لكل مفهوم على حدة بل كان كل ما يعنيهم هو دراسة الظاهرة اللغوية أكثر من وضع المسميات لها، فحين نقلب في أوراق الكتب وبطونها نجد هناك خلطاً بين المفاهيم، لأنهم لم يضعوا لكل مفهوم مصطلح خاص به كما هو حال الدراسات اللغوية اليوم، فعند تسليطنا الضوء على الدرس اللساني المقارن والدرس اللساني التقابلي فما نلاحظه من تفريق واضح بين المفهومين والمصطلحين أيضا، لا نجده عندهم، لان هذه التسميات هي تسميات حديثة نسبياً، لكن ما يهمنا هنا هو أن نؤصل بالدليل الملموس إن الدرس التقابلي هو درس قديم تناوله علماؤنا العرب القدامى بالدرس والشرح والتفصيل والاهتمام، فقد انقسمت الدراسات المقارنة بين الألسنة عند العرب قديماً على قسمين هما:

أحدهما: دراسات مقارنة لا تقوم على أسس علمية فهي قائمة على التعصب والانحياز للغة الأم.

ثانيهما: دراسات مقارنة قائمة على أسس علمية في عملية التحليل، خالية من التعصب والانحياز، يشهد لها بذلك علماء اللسان الغربيون غير المتعصبين لقومياتهم[4].

لعل أول ما يطالعنا من أراء وإشارات تناولت ظاهرة التقابل اللساني بين لغتين لا تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة هي العربية والفارسية ما درسه سيبويه"180هـ"في كتابه بعدِّه واحداً من علماء العربية ذو أصول فارسية، فقد أمضى فترة ليست بالقصيرة من حياته في فارس مسقط رأسه، فكان يُتقِن ويتكلم العربية إضافة إلى معرفته بلغته الأم–اللغة الفارسية–فكانت له إشارات دقيقة إلى الفروق الصوتية بين اللغتين فأفرد لذلك باباً اسماه"باب اطراد الإبدال في الفارسية"فيقول:"يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم لقربها منها ولم يكن من إبدالها بد لأنها ليست من حروفهم وذلك نحو الجربز والآجر والجورب وربما أبدلوا القاف لأنها قريبه أيضاً، قال بعضهم قربز وقالوا كربق و قربق، ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم إذا وصلوا الجيم وذلك نحو كوسه وموزه لان هذه الحروف تُبدل وتحذف في كلام الفرس همزةً مرةً وياء مرةً أخرى فلما كان هذا الآخر لا يشبه اوآخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم وأبدلوا الجيم لان الجيم قريبة من الياء وهي من حروف البدل والهاء قد تشبه الياء، ولان الياء أيضا قد تقع آخره فلما كان كذلك أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف وجعلوا الجيم أولى لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى وربما أدخلت القاف عليها في الأول فأشرك بينهما، وقال بعضهم كوسق وقالوا كربق وقالوا قربق ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء: الفاء نحو الفرند والفندق وربما أبدلوا الباء لأنهما قريبتان جميعاً، قال بعضهم البرند فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية ومثل ذلك تعبيرهم الحركة التي في زور وآشوب: فيقولون زوْر وآشوبٌ وهو التخليط لان هذا ليس من كلامهم، وأما ما لا يطرد فيه البدل

3– كسيبي، نزيه، علم اللسان المقارن عند العرب ،"بحث"، "دمشق: مجلة الثقافة، عدد نيسان، سنة 1987م"، ص3.

4– ينظر: المصدر السابق نفسه، ص3.

فالحرف الذي هو من حروف العرب نحو سين سراويل وعين إسماعيل أُبدلوا للتغير الذي قد لزم فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالإضافة، فأبدلوا من الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا وأبدلوا الهمزة العين لأنها أشبه الحروف بالهمزة..."[5]وليس هذا فقط بل استمر في توضيح هذه الظاهرة اللغوية والمقابلة بين اللغتين من ناحية البناء الصرفي"Morphology Constriction" للكلمات وقياسها على ما جاء في اللغة الفارسية فيقول في هذا الصدد:"اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه؛ فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدِرهم ألحقوه ببناء هجرع وبهرج ألحقوه بسلهب ودينار ألحقوه بديماس وديباج ألحقوه كذلك، وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار ويعقوب فألحقوه بيربوع وجورب فألحقوه بفوعل، وقالوا أجور فألحقوه بعاقول وقالوا شبارق فألحقوه بعذافر ورستاق فألحقوه بقرطاس لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية وربما غيروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربياً غيره وغيروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم لأنه أعجمي الأصل فلا تبلغ قوته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم وإنما دعاهم إلى ذلك إلا الأعجمية يغيرها دخولها العربية بإبدال حروفهم فحملهم هذا التغيير على أن أبدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون في الإضافة إذا قالوا هيٌّ نحو رباني وثقفي وربما حذفوا كما يحذفون في الإضافة ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم وذلك نحو آجرٌّ و إبريسم و إسماعيل وسراويل وفيروز والقهرمان...ربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن نحو خراسان وخُرَّم والكركم وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو فرند-بقم-آجر-جريز"[6]، فنجد سيبويه بهذا الكلام يقدم لنا درساً مفصلاً في كيفية التعامل مع الاختلاف والتشابه بين اللغتين، فهو تفصيل لعالم خبير باللغتين وما تتميز بهما من بناء المفردات ونطق للأصوات، وهذا هو تأثير البيئة الفارسية التي نشأ بها قبل رحيله إلى البصرة[7]، لكنه لم يضع أية مسميات لأية مفاهيم مكتفياً فقط بالشرح لظاهرة الاختلاف بين نطق الأصوات من جهة وبناء الكلمات من جهة أخرى.

ونجد أبو عبيد القاسم بن سلام"244هـ"يتكلم عن وجه الشبه والاختلاف بين العربية والسريانية مُقارِناً بين اللغتين من ناحية علامة التعريف"أل"لكل منهما فيقول:"للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها احد من الأمم تعلمه منها إدخال الألف واللام في أول الاسم وإلزامهم إياه بالإعراب في كل وجه في الرفع والنصب والخفض كما ادخلوا في الطور وحذفوا الألف التي في الآخر فألزموه الأعراب في كل وجه وهو في السريانية "طورا" على حال واحدة...واليم هو في السريانية "يما" فأدخلت العرب في الألف واللام وصرفته في جميع الأعراب على ما وصفت"[8]

وإذا ما تقدمنا قليلاً ونحن نفتش في كتب التراث نجد أبو عثمان الجاحظ"255هـ" لا يبخل جهداً في التعرض لدراسة هذه الظاهرة مفصلاً مع توضيحات عملية ومستشهداً بما سمعه عن الأعراب، والجاحظ هو من أصول عربيه قُحة عُرف بمواقفه الدفاعية عن العربية ضد الحركات الشعوبية، لذلك ترجح الروايات انه لم يكن متقناً للغات الأخرى بشكل يمكِّنُه من الكلام بها فمعرفته أفادته بشكل يسير في هذا الجانب، فنراه في أكثر الأحيان يقوم بجمع ما سمعه من روايات حول هذه اللغات من بعض اللغويين، وكتاب البيان والتبيين خير شاهد على

5- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، "لبنان: دار الجيل"، ج4، ص305- 306.
6- المصدر السابق نفسه، ج4، ص304.
7- انظر: شاهين، عبد الصبور، في التطور اللغوي، "لبنان: مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م"، ص130- 131.
8 - الرازي، أبو حاتم، الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، تحقيق: حسين الهمداني، "القاهرة: 1975- 1958م"، ج1، ص77.

ذلك، وعند البحث عن الجذور اللسانية للمنهج التقابلي عند الجاحظ-كونه احد أقطاب البحث اللغوي العربي القديم- سنضع كتابه"البيان والتبيين" على طاولة البحث لنبدأ بعملية التقصي عن الحقائق اللغوية التي تمدنا بمادة تقابلية تمكننا من التعرف عن ما لهذا المنهج من أصول في فكر العلماء العرب القدامى، فالحقائق اللغوية التي نستخلصها من كتابه تطابق من حيث موضوعاتها تلك التي تتناولها كتب علم اللسانيات الحديث وهي حقائق انطوى أغلبها تحت مباحث علم الأصوات[9]، فيذكر الجاحظ مخارج الأصوات وكيف ينطق بها الأعاجم، ويتمطى به هذا البحث اللغوي إلى ما يضطرب به المتعلمون للعربية وهم من أرومات متنوعة، وبذلك يعرض لخصائص تلك الأجناس المتباينة التي اتخذت العربية لغتها[10]، ومن خلال ذلك نرى جهده الواضح والجاد في دراسة الأصوات ومخارجها ومدارجها فيقول "ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك نعم حتى تجده كأنه أطبع منهم..."[11]، ويتجاوز الجاحظ حدود زمنه فيبدأ بدراسة الأصوات العربية ومقارنتها مع أصوات الأمم الأخرى فبهذا سجل السبق في هذا المجال، فيقول:"لكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها نحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين، وقال الأصمعي: ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسرياني ذال"[12]ويعد الجاحظ بقوله هذا قد أسس للمنهج التقابلي"Contrastive Approach" حين قابل بين اللغات بشكل صحيح لا يقبل الخطأ أو التحريف إذ قابل بين بعض الوحدات الرئيسة في اللغات مع العربية بغية الوصول إلى إعداد المادة اللغوية التي تُعنى بالاختلاف والتشابه بين اللغات، فما نقله الجاحظ عن الأصمعي التفاتةٌ ذكية تندرج ضمن الدرس الصوتي التقابلي، ويقرر الجاحظ في موضع آخر إن المتعلم يجب عليه أن يقوم بمحاكاة العناصر الأساسية في اللغة المتعلمة خصوصاً ما يتعلق بالنظام الصوتي وكيفية نطق أصوات اللغات الأجنبية، فعملية النطق الصحيح هي الطريق الصحيح لتعلم باقي مستويات اللغة الأخرى، وكلما كان المتعلم حريصاً على أن يتقن مخارج أصوات اللغة بشكل سليم تمكن منها كما ينطقها أهلها، وبذلك يبتعد عن اللبس في المعنى عند نطق الأصوات بشكل غير صحيح، فكثرة مران أعضاء النطق على نطق الأصوات بشكلها الصحيح سيتولد عنه تكيف في المخارج الخاصة بالأصوات الأجنبية، وما أن توقف المتعلم عن المران والتطبيق رجعت أعضاء النطق إلى العادات اللغوية الخاصة باللغة الأم[13]، ويقول الجاحظ حول هذا "إنما تهيأ وأمكن الحاكية لجميع مخارج الأمم لما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فيطول استعمال التكلف لذلك جوارحه، ومتى ترك شمائله على حالها ولسانه على سجيته كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون فإما حروف الكلام فان حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم..."[14]، ثم يضيف على ذلك بان الإنسان إذا جُبِّل على تعلم لغة وكبر عليها فانه من الصعب عليه أن يتعلم لغة ثانية ويتقن أصواتها ومخارجها بشكل سليم فقال الجاحظ بهذا الصدد "فإما حروف الكلام فان حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم ألا ترى أن السندي إذا جُلب كبيراً

9- انظر: محجوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، ص71.
10- انظر: السامرائي، إبراهيم، الجاحظ وعلم اللغة، "بحث"، "دمشق: مجلة الثقافة، تموز، 1987م"، ص27- 28
11- الجاحظ، البيان والتبيين، "دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م"، ج1، ص69.
12- المصدر السابق نفسه، ج1، ص64- 65.
13- انظر: محجوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، ص90- 91.
14- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص70.

فانه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً وكذلك النبطي القح خلاف المغلاق الذي نشا في بلاد النبط لان النبطي القح يجعل الزاي سيناً فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول مشمعل قال مشمئل والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن إنها رومية وأهلها يزعمون إنها مولدة بان تقول ناعمة وتقول شمس ثلاث مرات متوالية..."[15]، ويضيف أيضاً في السياق نفسه أن "أبو مسلم صاحب الدعوة وكان حسن الألفاظ جيد المعاني وكان إذا أراد أن يقول قلت لك قال: كلت لك فشارك في تحويل القاف كافاً..."[16]، ويستمر الجاحظ في إشاراته عن الاختلافات النطقية بين الأعاجم حين يتكلمون اللغة العربية، فيروي ما سمعه من احد الرواة فيقول:"حدثني أبان بن عثمان، قال: كان زياد النبطي اخو إحسان النبطي شديد اللكنة وكان نحوياً، قال: وكان بخيلاً ودعا غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال: فمن لدن دأوتك إلى أن قلت لبى ما كنت تصنأ؟ يريد من لدن دعوتك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع، فجعل زياد النبطي الهمزة عيناً...قال لي أبو الحسن: أُهدى إلى مولى زياد حمار وحش، فقال لزياد: أهدوا لنا همار وهش، قال أي شي تقول ويلك؟قال أهدوا إلينا أيراً-يريد عِيراً-قال زياد الثاني شر من الأول"[17]

ويمكن أن نخلص من كلام الجاحظ إلى نتيجتين هما:

الأولى: هو إمكانية ان تحل وحدات صوتية من اللغة الأم محل أخرى من اللغة المتعلمة لأنها غير موجودة أصلاً في اللغة الأجنبية.

الثانية: إن الإنسان بطبيعته يحاول أن يصل إلى مرحلة الكمال في كل شيء، فالتمكن من العادات اللغوية بشكلها الصحيح يصعب على المتلقي تمييزها، وهذا التمكن يصل إليه الإنسان إذا تعلم اللغة منذ الصغر ونشأ عليها فانه من الصعب أن تتغير عاداته النطقية خصوصاً، بينما لو تعلمها من الكبر عندها سيجد من الصعوبة أن يتقنها فيقوم بعملية الإبدال ظننا منه إنها متشابه.

ونجد أن الجاحظ تناول مسالة التداخل "Interference" والنقل اللغوي "Linguistics Transformation" من دون أن يضع لهذا المفهوم المصطلح المناسب، خصوصاً ما يتعلق بعملية استبدال الأصوات الناجم عن عدم وجود الوحدات الصوتية في اللغة الأصلية وتمكن هذا التداخل من السيطرة على النطق لدى المتعلم فيقول الجاحظ بهذا الصدد:"وزعم يزيد مولى ابن عون قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء فكان إذا دعاها قال يا ضمياء بالضاد فقال ابن المقفع قل يا ظمياء فناداها يا ضمياء فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثة قال له هي جاريتي أو جاريتك؟..."[18]ويضيف الجاحظ أيضا في السياق ذاته أمثلة ممن يستبدلون الوحدات الصوتية غير الموجودة بأخرى موجودة، فمن هؤلاء الشريف ومنهم العامي الوضيع "ومنهم زياد بن سلمى أبو إمامة وهو زياد الأعجم، قال أبو عبيدة:

فتى زاره السلطان في الود رفعه إذا غير السلطان كل خليل

قال: فكان يجعل السين شيناً والطاء تاءاً فيقول "فتى زاره الشلتان"

ومنهم عبيد الله بن زياد والي العراق قال لهانئ بن قبيصة اهروري سائر اليوم يريد احروري ومنهم صهيب بن سنان النمري صاحب رسول الله ﷺ"كان يقول انك لهائن يريد انك لحائن أي هالك وصهيب بن سنان يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء، وآزاد نقاذار لكنته نبطيه وكان مثلهما في جعل الحاء هاء وبعضهم يروي انه أملى على كاتب له فقال اكتب: "الهاصل الف كر" فكتبها الكاتب

15- المصدر السابق نفسه، ج1، ص70- 71.
16- الجاحظ، البيان والتبيينج1، ص73.
17- المصدر السابق نفسه، ج2، ص213.
18- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص211.

بالهاء، فأعاد عليه الكاتب فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال: أنت لا تحسن أن تكتب وانأ لا أهسن أن أملي فاكتب"الجاصل ألف كر"فكتبها بالجيم المعجمة..."[19]، ولا ينسى الجاحظ أن يتعرض لمن بذل جهداً في تعلم العربية من الأعاجم وعكف على إتقانها بجدية، فانه سيتمكن من صرفها ونحوها وتراكيبها، لكن فيما يتعلق بالأصوات ونطقها فإنها مسألة فيها نظر لان المتعلم لا يمكن ان يتخلى عن الصفات النطقية للغته الأم، وبذلك يضع تعلم الجانب الصوتي بمعزل عن بقية المستويات اللغوية الأخرى، فيقول موضحاً ذلك"وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة يكون لفظة متخيراً فاخراً ومعناه شريفاً كريماً ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه انه نبطي وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة فانك تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه انه خراساني وكذلك إن كان من كُتَّاب أهل الأهواز..."[20]، ثم يوضح كيف أن الأعجمي لا يمكنه التخلي عن صفات لغته الأم عند النطق باللغة المتعلمة، يقول:"يقال في لسانه لكنه إذا ادخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه الحالة الأولى إلى المخرج الأول..."[21]، فاستعمل الجاحظ في كلامه بهذا الموضع لفظ"الحروف" بدلا من "الأصوات" ولو استعمل الأصوات لتبين الأمر بشكل أكثر وضوحاً، ثم يفصل بشكل دقيق جدا وهو يشرح عملية النطق لبعض الأصوات ومقارنتها مع اللغات، يقول الجاحظ"وهي أربعة أحرف القاف والسين واللام والراء، فإما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط لأنه ليس من الحروف المعروفة وإنما هو مخرج من المخارج والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها، وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الخوز في سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم يشبه الصفير فمن يستطيع ان يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر في فم المجوسي إذا ترك الإفصاح عن معانيه"[22]، وهكذا نجد أن ملاحظات الجاحظ الدقيقة حاكت على الرغم من عجالتها الدرس اللساني التقابلي مدركاً الفروق بين اللغات.

وحين نفتش في كتب اللغة نجد أن الأمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي"321هـ" وهو احد رجالات اللغة والأدب والشعر، له رأي في مقارنة حروف العربية مع اللغات الأخرى فيقول مفرقاً بينهم"في حروف الهجاء العربي حرفان لا يجريان إلا على لسان العرب ولا يوجدان في لغات سائر الأمم وهما "الطاء والحاء" فخالفه بعض من كان يناوئه وقال الحاء موجودة في لغات ثلاث هن الأمم السريانية، العبرانية، الحبشية...والصاد لا تقع في لغة الروم كما أن الضاد لا تقع في لغة الفرس والذال لا تقع في لغة السريانيين كما انه لا يقع في لغة العرب بعدها شين كما لا يقع فيها حرفان من حروف التهجي لفظهما متجاورين في الأسماء والأفعال "شش وكك" وقد يقعان في أواخرهما "تكك، حكك" إلا في أسماء أصلها فارسية نحو "ببان–ددان" كما انه لا يقع الذال في لغة الفرس في أوائل الأسماء والأفعال وإنما يقع في أواخرها وأوسطها"[23].

وأما حمزة بن الحسن الأصفهاني"360هـ"في كتابه"التنبيه على حدوث التصحيف" نجده يفصل الحديث حول المقارنة بين اللغات ويركز على الحروف ووجودها في لغة دون أخرى وكيفيه نطقها ولفظها لأن أصله الفارسي وثقافته العربية ووعيه مكنته من هذه المقارنة

19- المصدر السابق نفسه، ج1، ص73.
20- المصدر السابق نفسه، ج1، ص69.
21- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص40.
22- المصدر السابق نفسه، ج1، ص34.
23- الأصفهاني، حمزة بن الحسن"280-360هـ"، كتاب التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق: محمد اسعد طلس ،"بيروت: دار صادر، ط2، 1992م"، 16- 17

الدقيقة بين اللغتين، فيقول:"لو رام إنسان من أهل الزمان أن يضع كتابة سليمة من التصحيف جامعة لكل الحروف التي تشتمل على اللغات لزم أن يضع أربعين حرفاً منها ثمانية وعشرون حرفاً ما قد رسم به هجاء العربية التي هي:"أ-ب-ت-ث..."ومنها جارية على السن أهلها ولم يخصوها بصورة وهي"النون الغناء والهمزة والواو والباء اللينتان"، فالنون الغناء هي التي تخرج من الغنة هي مثل نون/منذر/لأنها ليست من مخرج نون/وسن/والهمزة مثل قرأ و رفا ومثل أول حرف من /احمد/ لأنها ليست من مخرج ألف حامد...ومنها ثمانية أحرف لا تقع في العربية أصلاً وإنما تقع في الفارسية وفي سائر لغات الأمم عامة وهي الحرف بين الفاء والباء ...والحرف بين الجيم والصاد، إذا قلت جراغ...والحرف الذي بين الجيم والزاي وذلك إذا قلت وازار...والحرف بين الكاف والعين، كاذر...والحرف بين الخاء والواو في أول قولك /خورشيد/ والحرف الذي يشبه الواو...والحرف الذي يشبه الياء...والعلماء العرب كانوا إذا يحتاجون استعمال لغات الأمم من الفرس والسريان والروم واليونانيين وضع لنفسه كتابه اخترع لها أربعين صورة مختلفة لأشكال متباينة الهيئات فكان لا يتعذر عليه كتب شيء ولا تلاوته..."[24]

وإذا ما تقدم بنا الزمن قليلاً نصل إلى اللغوي الموصلي ابن جني"392هـ"، وهو عربي الولادة موصلي النشأة، يروى أن أباه "جني" كان عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، ويمكننا الاطلاع من خلال آراءه اللغوية على تتبعه ودراسته للفروق اللغوية بين اللغات السائدة آنذاك، فله كما للجاحظ التفاتات مقارنة وملاحظات تقابلية منحت المكتبة العربية السبق في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، فيقول في معرض حديثه عن العلماء من الأعاجم الذين يجيدون علوم العربية، فيقول:"إن العجم العلماء بلغة العرب وان لم يكونوا علماء بلغة العجم فان قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية وتؤنسهم بها وتزيد في تنبيههم على أحوالها لاشتراك العلوم اللغوية واشتباكها وترامیها إلى الغاية الجامعة لمعانيها، ولم نر احد من أشياخنا فيها...يسوون بينهما ولا يقربون بين حاليهما وكأن هذا موضع ليس للخلاف فيه مجال لوضوحه عند الكافة"[25]، ثم يقابل ابن جني في أي لغة أفضل: العربية أم الفارسية؟ من ناحية ألفاظها وتأثيرها في المتلقي وفصاحة متكلميها وأعطى أسباباً لأفضلية العربية، فيقول بخصوص ذلك "والمروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد أو جزء من أجزاء كثيرة منه فان قلت: فان العجم أيضا بلغتهم مشغوفون ولها مؤثرون ولان يدخلها شيء من العربي كارهون، ألا ترى أنهم إذا أورد الشاعر منهم شعراً فيه ألفاظ من العربي عيب به وطعن لأجل ذلك عليه فقد تساوت حال اللغتين في ذلك فأي فضيلةٍ للعربية على العجمية؟ قيل لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها والتنويه منها"[26]، ثم يلتفت ابن جني إلى قضية صوتية مهمة وقابلها مع الفارسية كونها إحدى اللغات الأجنبية التي يتقنها العرب آنذاك، فيقول حول اجتماع ثلاث سواكن في الكلام بأنه من "طريف الحديث اجتماع السواكن شيء وان كان في لغة العجم، فان طريق الحس موضع تتلاقى عليه طباع البشر، ويتحاكم إليه الأسود والأحمر وذلك قولهم "آرْد" للدقيق و"ماسْت" للبن، فيجمعون بين ثلاثة سواكن، إلا إنني لم أر ذلك إلا فيما كان ساكنه الأول ألفاً وذلك أن الألف لما قاربت بضعفها و خفائها الحركات صارت ما"ماسْتْ"كأنها مَسسْت"[27].

24- المصدر السابق نفسه: 34- 36.

25- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص: تحقيق: محمد علي النجار ،"القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1952م"، ج1، ص243.

26- المصدر السابق نفسه، ج1، ص242

27- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، ص90.

وفي جانب آخر نجد أن اللغوي ابن فارس احمد بن زكريا"395هـ" ولد في منطقة قزوين ونشأ بهمذان، يلتفت إلى مسألة المقابلة بين اللغات فيقول:" أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لانا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك؟وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب..."[28]، ثم يستمر في المقارنة بين الألفاظ فيقول:"قد يوافق اللفظُ اللفظَ ويفارقه، ومعناهما واحد، واحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها، قال: فمن ذلك: الإستبرقُ بالعربية وهو الغليظ من الديباج والفِرِنْد وهو إستبره بالفارسية وقال أهل مكة يسمون المسح الذي يجعل في أصحاب الطعام البُرَّ البَلَاس وهو بالفارسية بلاس فأمالوها وأعربوها فقاربت الفارسية العربية في اللفظ والمعنى...ذلك كله من لغات العرب وان وافقه في لفظه ومعناه شيء من غير لغاتهم..."[29]، ويضيف ابن فارس في قدرة اللغة العربية على أن يُعبَّر بها عن كل شيء وهذا ما لا يقوى عليه الأعجمي الذي لا يتكلم العربية فيقول:"ولو أراد معبّرٌ بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين والشكّ والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعيّ بِهِ...ومما أُختُصت بِهِ لغةُ العرب 000قلبهُم الحروف عن جهاتها، ليكون الثاني أخفَّ من الأول، نحو قولهم:"ميعاد" وَلَمْ يقولوا "مِوْعاد" وهما من الوعد، إلاَّ أن اللفظ الثاني أخفُّ، ومن ذَلِكَ تركهم الجمعَ بَيْنَ السَّاكنَيْنِ، وَقَدْ تجتمع فِي لغة العجم ثلاث سواكن، ومنه قولهم: "يَا حارِ"ميلاً إِلَى التخفيف"[30]، ثم يفصل ابن فارس بانفراد اللغة العربية دون سائر اللغات بأصوات تميزت بها العربية دون باقي اللغات فيقول: ف"أول الحروف الهمزة والعرب تنفرد بها في عرض الكلام مثل "قرأ" ولا يكون في شيء من اللغات ابتداء، ومما اختصت به لغة العرب"الحاء"و"الظاء"، وزعم ناس أن "الضاد" مقصورة على العرب دون سائر الأمم، قال أبو عبيد: وقد انفردت العرب بالألف واللام اللتين للتعريف كقولنا"الرجل"و"الفرس" فليسا في شيء من لغات الأمم غير العرب"[31]، ويلتفت ابن فارس إلى مسالة في غاية الأهمية وتعد هذه الالتفاتة هي سابقة لعصرها فيبدأ بالتفريق بين اللغات وفقاً لاختلاف الأصوات فيما بينها، ذلك لان الاختلاف في الأصوات يلجأ المتعلم به إلى نطق الصوت كما في لغته الأم وهذا هو مفهوم التداخل الذي يقوم عليه الدرس اللساني التقابلي فيقول على ابن فارس على لسان ابن دريد "حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى اقرب الحروف من مخارجها فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء مثل بور إذا اضطروا قالوا فور ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم وهي لغة سائرة في البحث مثل جمل، إذا اضطروا قال: كمل ، قال والحرف الذي بين الشين والجيم والياء في المذكر علامج وفي المؤنث علامش فإما بنو تميم فأنهم يلحقون الكاف باللهاة حتى تغلظ فيقولون القيّوم فتكون بين الكاف والقاف وهذه لغة تميم"[32]، فهذه الملاحظات هي من صلب عمل الدرس التقابلي الحديث نجدها عند علمائنا العرب في ذلك الوقت ما هو ا لا دليل على نضج تفكيرهم في هذا المجال.

وما زلنا نفتش في كتب التراث لنجد أن عبد الملك بن محمد بن إسماعيل "429هـ" الذي يُعرف بأبي منصور الثعالبي النيسابوري، أديب عربي فصيح عاش في نيسابور و ضلع في النحو و الأدب وأمتاز في حصره و تبيانه لمعاني الكلمات و المصطلحات، وله

28- ابن فارس، أبو الحسين احمد، الصاحبي، تحقيق: السيد احمد صقر، "القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1977م"، ص16- 17.
29- المصدر السابق نفسه: ص43- 44.
30- ابن فارس، أبو الحسين احمد، الصاحبي، ص19- 20
31- المصدر السابق نفسه، ص124.
32- المصدر السابق نفسه، ص191- 192.

مجموعة من الكتب ما يهمنا منها هو كتاب "فقه اللغة وأسرار العربية"، وذهب إلى عقد فصل خاص للموازنة بين اللغتين العربية والفارسية واسماه "فيما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية"، وضمنه خمسة فصول الأول منها تناول فيه الحديث عن أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية وذكر فيه مجموعه من الألفاظ التي تخص ذلك، ثم تبعه بعد ذلك فصل آخر يبحث في الأسماء عربية التي يتعذر وجودها في الفارسية وفصل ثالث في ذكر أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد وفصل في سياقه أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي واختتم الباب بفصل عنونه فيما حاضرت به مما نسيه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية[33]، فلم يكن كلامه يقتصر على اللغة الفارسية بل نجد أن الرومية حاضرة أيضا في كلامه وتحليله.

وأما أبو حيان التوحيدي "414هـ" وهو فيلسوف متصوف، وأديب بارع من أعلام القرن الرابع الهجري، عاش أكثر أيامه في بغداد وإليها ينسب، وقد أمتاز أبو حيان بسعة الثقافة وحدة الذكاء، فنجد عنده بعض الالتفاتات الذكية التي تشير إلى فطنته بعملية المقابلة والموازنة بين اللغات، فيقول في ليلته السادسة من كتابه"الإمتاع والمؤانسة"، فيقول في هذا الشأن: "الأمم عند العلماء أربع: الروم والعرب وفارس والهند، ثلاث من هؤلاء عجم وصعب أن يقال: العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة مع جوامع مالها وتفاريق ما عندها..."[34]، ثم يقول في موضع آخر وهو يقابل بين العربي والفارسي فيقول:"فان الفارسي ليس في فطرته ولا عادته ولا منشئه أن يعترف بفضل العربي ولا في جبلة العربي وديدنه أن يقر بفضل الفارسي وكذلك الهندي والرومي والتركي والديلمي وبعد..."[35]، ويضيف أيضاً في مقام آخر يتكلم فيه عن فضل العربية فيقول:"وقد سمعنا لغات كثيرة في جميع الأمم كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج فما وجدنا لشيء من هذه اللغات بنصوع العربية أعني الفرج التي في كلماتها والقضاء الذي بين حروفها والمسافة التي بين مخارجها والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها...اللغات الذي هو بين أشدها تلابساً وتداخلاً وترادفاً وتعاظلاً وتعبيراً وتعوضاً والى ما بعدها مما هو أسلس حروفاً وأرق لفظاً وألطف أوزاناً واحضر أعياناً وأحلى مخرجاً وأحلى منهجاً وأعلى مدرجاً واعدل عدلاً وأوضح فضلاً..."[36]، ثم يضيف أيضا في كتاب آخر يوضح أن مدارج ومخارج الأصوات العربية هي أفضل من غيرها من اللغات وألطف فيقول:"فقلت لأبي سليمان فهل بلاغة أحسن العرب فقال هذا لا يتبين لنا إلا بان نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق...وقد سمعنا لغات كثير من أصلها اعني من بلغائهم فعلى ما ظهر لنا ووصل إلينا لم نجد لغة كالعربية وذلك لأنها أوسع مناهج وألطف مخارج وأعلى مدارج وحروفها أتم ومعاريض أشمل...وهذه خاصية ما حازتها لغة..."[37]، فعلى الرغم من بساطة إشارته في الكتابين لكنهما تؤيدان بان هناك جهود مبذولة للاطلاع على باقي اللغات ومقارنتها بالعربية.

وعندما نتقدم باحثين عن جهود أخرى في هذا المقام نجد أن هناك ملاحظات يسيرة قدمها ابن حزم الأندلسي"456هـ" وهو يحاول أن يبين علاقات القربى التي تربط اللغة العربية مع أخواتها الساميات العبرية والسريانية والعربية، فقال:"من تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن إن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة البلدان الأمم وإنها لغة واحدة في

33- انظر: الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة العربية وأسرار العربية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، "القاهرة: دار الفكر العربي2000م"، ص304- 306.
34- التوحيدي، أبو حيان، كتاب الإمتاع والمؤانسة، "دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر1939م"، ج1، ص70.
35- المصدر السابق نفسه، ج1، ص73.
36- المصدر السابق نفسه، ج1، ص77- 78.
37- التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، "الكويت: دار سعاد الصباح"، ص294.

الأصل"[38]، فهذه ملاحظات تعد من أسس منهج علم المقارن، فكما قلنا سابقاً أن العرب كانت لهم جهودهم لكنها كانت من دون تبويب أو تسميات واضحة المنهج والمعالم فنجدها تساوي بين المصطلحين تحت مفهوم واحد ولا تُفرِدُ لهما مصطلح منفرد عن الآخر، ويضيف أيضا في موضع آخر مؤكدا على صلة القرابة بين اللغات السامية قائلا:"الذي وقفنا عليه وعلمناه علماً يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ونحن من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة وهكذا في كثير من البلاد فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من تأمله...وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمداً..."[39].

ومن العلماء الأفذاذ الذين تناولوا هذه الظاهرة بكثير من الشرح والتفصيل ووقفوا عندها كثيرا لبيانها وتأصيلها، كان العالم الأفريقي ابن خلدون"808هـ"في كتابه المعروف"مقدمة ابن خلدون"، إذ تناول قضايا صوتية مقارنة بشكل مفصل ودقيق في معرض تفريقه لمخارج الأصوات بين القبائل وحتى بين اللغات، فيقول في معرض تفريقه بين القاف في لهجتين لقبيلتين عربيتين:"والظاهر أن هذه القاف التي ينطق بها أهل الجيل العربي البدوي هو من مخرج القاف عند أولهم من أصل اللغة وان مخرج القاف متسع فأوله من أعلى الحنك وأخره مما يلي الكاف فالنطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار والنطق بها مما يلي الكاف هو لغة هذا الجيل البدوي...ثم إن أهل العربية قد ذكروا هذه القاف القريبة من الكاف وهي التي ينطق بها أهل الجيل البدوي من العرب لهذا العهد وجعلوها متوسطة بين مخرجي القاف والكاف على إنها حرف مستقل وهو بعيد والظاهر إنها من آخر مخرج القاف لأتساعه كما قلنا...وقد يزعم زاعم أن هذه القاف التي ينطق بها أهل الأمصار ليست من هذا الحرف وإنها إنما جاءت من مخالطتهم للعجم وأنهم ينطقون بها كذلك فليست من لغة العرب ولكن الاقيس وكما قدمناها من أنهما حرف واحد متسع المخرج..."[40]، فنرى أن ابن خلدون تعرض للأعاجم من الأقوام وتأثيرهم على العرب في نطق بعض الأصوات العربية، ويستمر في عرض هذا التأثير على العربية ولهجاتها، فيقول:"وإذا تبين لك ذلك علمت منه أن الأعاجم الداخليين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطرين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة..."[41]، فيوضح ابن خلدون هنا انه كان هناك جهدا واضحاً في مشاركة العربية مع اللغات الأخرى، إذ يبين أن الأعجمي مهما تعلم العربية لكنه لا يستطع أن يتقنها ويتخلص من تداخل لغته الأم على اللغة المتعلمة ويضيف أيضا بهذا الخصوص:"وإن فرضنا أن أعجمياً في النسب سلم من مخالطة اللسان الأعجمي بالكلية وذهب إلى تعلم هذه الملكة بالحفظ والمدارسة فربما يحصل له ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر"[42]، فيقرر هنا أن الأعجمي مهما بعد عن لغته الأم لا يمكن أن يتخلص من تأثيرها عليه وان ابتعد حتى من بلده وقاطع لغته مقاطعة تامة، ويؤكد أن المقصود بالأعجمي هو أعجمي اللغة وليس أعجمي النسب، فيقول"إن علماء الإسلام أكثرهم العجم لان المراد بالعجم هناك عجم النسب لتداول الحضارة فيهم...أما عجمة اللغة فليست من ذلك

38- الأندلسي، ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام ، "مطبعة الأمام: د.ت"، ج1، ص30.
39- المصدر السابق نفسه، ج1، ص30.
40- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، "بيروت: دار الكتاب اللبناني1961م"، ص1077- 1078.
41- المصدر السابق نفسه، ص1087.
42- المصدر السابق نفسه، ص1088.

وهي المرادة هنا..."[43] وليس هذا فقط فابن خلدون له أراء عديدة ومفصلة في هذا الموضوع وأثرنا على ذكر مقتطفات منها في هذا المبحث.

ومن خلال استعراض هذا الجهد الكبير لعلمائنا القدامى وجهودهم الحثيثة في تناول ظاهرة التقابل اللغوي، لا يسعنا إلا أن نثبت القول وبالدليل القاطع أن التراث العربي بعلمائه وكتبه ورجالاته قد تمكنوا من استيعاب ودراسة كل الظواهر التي تخص اللغة بشكل عام والعربية بشكل خاص، فهذه الإشارات ما هي إلا نقطة من بحر أوردناها لندل بها على التنبه الدقيق للعلماء آنذاك في ملاحظة الصلة اللغوية التي ربطت العربية واللغات الأخرى، ومدى استيعابهم للفروق والتشابهات والنتائج التي حدثت بينها نتيجة هذا التداخل، ولنتيقن أن فضيلة التراث اللغوي العربي هي حقيقة أيديولوجية الحضارة والفكر العربي الإسلامي، التي كانت حازت على أعلى مراتب الفكر والعلم، لذلك كانت استفادة اللسانيات الحديثة من التراث اللغوي العربي أكثر من غيره على الرغم من عدم اعتراف الكثير من الباحثين الغربيين بذلك محتجين بان هذا التراث ما هو إلا انعكاس للتراث اللغوي الإغريقي[44]، لكن التراث العربي بكل محتواه يناقض ما ذهبوه إليه، فما يمكن أن نطرحه هنا من تساؤل: هل تبادر إلى أذهان علماء الغرب ومفكريهم أن أغلب ما توصلوا إليه هو في الواقع قد تم معرفته وشرحه من لدن فترة ذهبية أسست لمعظم علوم الحياة؟هل علموا بما توصل إليه علماء العرب الأوائل أمثال سيبويه والجاحظ وغيرهم في الدرس اللساني المقارن والتقابلي بين اللغات؟ وهل فعلاً اطلعوا عليها واعتمدوها في بناء آراءهم ونظرياتهم التي توسعوا فيها اليوم؟فهل ما اعترف به المستشرقون يُعد دليلاً على اعتراف علماء الغرب بما توصل إليه العرب القدامى، فقد شهد المستشرق برجشتراسر وهو يشهد لعلماء العرب براعتهم في هذا المجال خصوصا في المجال الصوتي، فيقول:"لم يُسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما: أهل الهند يعني البراهمة، والعرب وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب: الخليل بن احمدسنة771هـ"[45]، ووضح فيرث أيضا في السياق ذاته أن نشأة الدراسات الصوتية ونموها كان في أحضان لغتين مقدستين آنذاك وهما العربية و السنسكريتية، لكن يبقى السؤال على طاولة النقاش، أين هو دور العرب القدامى في كتب الغربيين وأراءهم؟

جهود علماء الغرب المحدثين في الدرس اللساني التقابلي الحديث:

لقد بدأ علماء الغرب في اللسانيات التقابلية جهودهم الحثيثة ومن بعد ما تبلورت الأفكار ووضحت الرؤية عند علماء العرب القدامى في إرساء وتقعيد القواعد لهذا العلم، وعدوه واحدا من أهم مناهج البحث اللساني الحديث إذ لا يتجاوز عمره سوى خمسين عاماً، فبدأ العلماء الغربيون في القرن العشرين بإطلاق دراسات موسعه تهدف إلى وضع أسس يسير عليها الباحث وتكون وسيلة جديدة من وسائل تعلم اللغات الأجنبية، إذ "قام الدرس اللغوي في الغرب على غرار صنع العرب فاحتذوا حذوهم وساروا على نمطهم زمناً إلا أن علماء الغرب في نهضتهم الحديثة خطوا خطوات واسعة وفتحوا ميادين جديدة..."[46]، وكنتيجة للاهتمام المتزايد بهذا المجال ربط هؤلاء العلماء بين الدراسات التقابلية وبين عملية تعليم وتعلم اللغات فازدهر هذا التوجه مؤخراً عندما اهتم الناس بتعلم اللغات الأجنبية، بعدما تنبهوا إلى أن

43- المصدر السابق نفسه، ص1054.
44- انظر: الوعر، مازن، صلة التراث اللغوي باللسانيات، ص95.
45- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، "القاهرة: مكتبة الخانجي1994م"، ص11.
46- شاهين، توفيق، علم اللغة العام، ص28.

متعلم اللغة الأجنبية يواجه صعوبات شتى في تعلمها كان الهدف منه تعليمياً لغرض توضيح مواطن تلك الصعوبات التي تواجه المتعلمين[47]، فقد ركز هذا الجانب من علم اللسانيات على جعله وسيلة من أهم الوسائل التي يجب ان تُعتمد في عملية تعلم و تعليم اللغات الأجنبية، وبهذا كان يجب على المعلم أن يتبعها عند عملية التعليم، فقد أبدت هذه الوسائل نجاحها في ذلك الوقت، فبدأت منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين بوادر الظهور لحركة مهمة في ميدان تعليم اللغات الأجنبية وكان من روادها"آن آربر" وهو احد أساتذة جامعة ميتشغان[48]، وهي إحدى الجامعات الأمريكية الكبرى التي أخذت على عاتقها الاهتمام في هذا الجانب، ثم تلتها الجامعات الأوروبية بعد ذلك بهدف وضع خطط لتيسير عملية تعلم اللغات لغير أبنائها، إذ يرجع الفضل في تعلم اللغات بهذه الطريقة إلى الحرب العالمية الثانية"1945م"، وأُستعمل هذا العلم لأول مرة في الجانب العسكري إذ أصبح تعلم اللغات الأجنبية بالنسبة للجيش الأمريكي شيئاً ضرورياً للتعامل مع الحلفاء والأعداء في الوقت نفسه، فكان لا بد من إيجاد طريقة سهله وسريعة وناجحة يمكن تطبيقها على لغات كثيرة[49]، وبعد الحرب العالمية الثانية بدا تأثير العلوم اللغوية الأخرى كبيراً على تعلم اللغات الأجنبية خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا واليابان، وفي هذا الوقت ظهرت تيارات فكرية واتجاهات بحثية تدعو إلى الاهتمام بلغة الحديث والتركيز على تراكيب اللغات أكثر من مفرداتها، فقد بدأ الاهتمام بالنطق يحتل الاهتمام الأكبر في عملية تعليم اللغات وعدوه الأصل في ذلك، بينما الكتابة فهي ظاهرة تابعة، فأصبح بعد ذلك تعليم النطق أساساً لابد منه لتعلم الكتابة فالمتعلم يجب أن يبدأ بتعلم الجانب النطقي والصوتي للغة ثم تأتي بعد ذلك عملية تعلم الكتابة مع ملاحظة الفروقات بين الأنظمة الصوتية والأنظمة الكتابية ومحاولة إيجاد طريقة مناسبة لحل مسالة التدوين الصوتي التي يعاني منها المتعلمون[50]، ثم أنتقل بعد ذلك الاهتمام إلى بروز علماء اهتموا فيه ليصبح مجالاً للبحث الجاد منذ ظهوره بشكل منظم، فكان من أبرز من أسس لهذا العلم بشكله الجديد هو العالم الأمريكي تشارلز فريز"Fries Charles" عام"1945م" موظفاً المنهج الوصفي أداة طيعة استند إليها في عملية التحليل والمقارنة بين اللغتين لإبراز أوجه الشبه والاختلاف بينهما من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية وذهب إلى وجوب اعتماد مدرسي اللغات الأجنبية على عملية التقابل بين اللغتين في أثناء التدريس والتركيز على الاختلافات التي تكون بين اللغة الأم واللغة المتعلمة لان هذه الاختلافات هي التي تتسبب في الأخطاء التي يقع بها المتعلمون وعندها يركز المتعلم على هذه الأخطاء فيحاول أن يتجنبها[51]، ثم جاء بعده من أصَّلَ لهذا العلم ووضح الرؤية فيه بشكل جلي عبر كتاب ألفه أسس فيه لكيفية التحليل التقابلي الصوتي والصرفي والنحوي بين اللغات، وهو العالم الغربي الدكتور"روبرت لادو""Robert Lado" في عام 1975م اصدر كتابه المعروف بـ"Linguistics Across Cultures""علم اللغة عبر الثقافات"، وتعد خطة هذا الكتاب–حسب ما ذكره في المقدمة– إنها تركز على فرضية أساسية وهي انه يمكننا أن نتنبأ بالأنماط والظواهر اللغوية التي تقف أمام المتعلم وتسبب له صعوبة في التعلم وتلك التي لا

47– انظر: محمد، عمر سليمان ، دراسة تقابلية بين اللغة العربية واللهجة الدنقلاوية على المستوى الصرفي، "بحث غير منشور"، "الخرطوم: بحث دبلوم، معهد الخرطوم الدولي، 1979م"، ص2.

48– انظر: صيني، محمود إسماعيل والأمين، إسحاق، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، "الرياض: عمادة شؤون المكتبات، مطابع جامعة الملك سعود، ط1، 1982م"، ص1.

49– انظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، "القاهرة: عالم الكتب، ط2، 2000م"، ص573.

50– انظر: خرما، نايف، أضواء على الدراسات المعاصرة، ص50، وانظر: حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة/المجالات والاتجاهات، ص29–30، وانظر: حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن قي ضوء التراث واللغات السامية، ص52– 53.

51– انظر: P14. Fries , Charles, Teaching and Learning English As a Foreign Language,

تسبب له أي صعوبة تذكر وذلك عبر عملية المقابلة المنهجية للغتين مع وجوب أن يكون المتعلم محيطاً بالثقافة الأصلية لأهل اللغة الأجنبية المتعلمة، فنجد أن أول عملية تحليلية للتقابل اللغوي تبين لنا وترسم الطريق لكيفية المقارنة بين نظامين صوتيين وصرفيين ونحويين ونظامين دلاليين وثقافتين متميزتين وبين الأهمية والفوائد التي سيجلبها هذا المنهج من خلال إتباع طريقة صحيحة في إعداد المواد التدريسية[52]، فيتوجب على الباحث التقابلي أن يتبع هذه الخطوات عند إجراء التقابل بين المستويات اللغوية في لغتين معينتين والسعي للحصول على أفضل وصف لهما مع اتخاذ منهج موحد في عملية التحليل[53]، وأستمر هذا النهج بالمساهمة الفاعلة في وضع الكتب التعليمية ورسم مناهج التدريس للغات الأجنبية ليتمكنوا من معرفة الأخطاء التي يقع بها المتعلم، فمن خلال دراساتهم لهذه الظواهر يضعون حلول مقترحة وخطط تساعد المتعلم على تخطي الصعوبات التي يواجهونها ويرسمون لهم منهجاً يسيرون عليه يقابل منهج لغتهم الأم مع مراعاة للعادات اللغوية التي يكون الدارس قد اكتسبها من لغته الأم[54]، فكان تركيز لادو على أهم الأسس التي يمكن إتباعها عند التحليل، ويمكن تلخيصها بثلاث نقاط وهي[55]:

1- إن مفتاح السهولة أو الصعوبة في تعلم اللغات تكمن المقارنة بين اللغة الأم واللغة الهدف.

2- إن أكثر المناهج التعليمية فعالة هي التي تستند على أساس الدراسة الوصفية العلمية للغة المراد تعلمها ومقارنتها بشكل متوازي ودقيق مع اللغة الأم.

3- إن المُعلِّم الذي يركز في تدريسه على أوجه التشابه والاختلاف بين اللغتين يعلم بسهولة بالمشكلات الحقيقية التي يواجهها المتعلم ويكون بالتالي قادراً على مواجهة هذه المشكلات والتغلب عليها.

وفي أوائل الستينيات بدأت مرحلة جديدة أطلقوا عليها "الطريقة اللغوية السمعية"؛ والتي بدأت في أوائل العقد السادس من القرن العشرين مع ظهور مجموعة من المؤلفات التي اعتمدت إلى هذه الطريقة، فجاءت هذه المرحلة انعكاس لما ظهر في حقبة الخمسينات، ففي منتصف الستينات بدأ الباحثون يشعرون أن هناك حاجة لتأسيس علم يضم في إطاره المشكلات العملية التي يعاني منها المتعلمون واللغة أيضا فتوجت بإعلان تأسيس عدد من الجمعيات اللغوية التطبيقية المستقلة بما تضمنته من الاعتراف باللسانيات التطبيقية كحرفة مميزة عن اللسانيات النظرية، وظهرت عدة مؤلفات اشرف عليها مركز علوم اللغة التطبيقية"Center For Applied Linguistics" في الولايات المتحدة الأمريكية وهي عبارة عن دراسات تقابلية بين الانجليزية وكل من الاسبانية والايطالية والألمانية، وظهرت بعد ذلك الجمعية البريطانية للغويات التطبيقية عام1967م، وقد استمر هذا النهج حتى أواسط السبعينات بعد أن توسعت بشكل كبير خصوصا في أوربا لتظهر دراسات تقابلية تحليلية بين الانجليزية ومجموعة من اللغات الأوربية الأخرى، ومنها جمعية استراليا للغويات التطبيقية عام 1976م والجمعية الأمريكية للغويات التطبيقية عام1977م[56]، وخلال هذه الحقبة ظهرت اتجاهات ثلاث اختلفت نظرتها للتقابل اللغوي

52- انظر: Lado , Robert , Linguistics Across Cultures , Ann Arbor : The University Michigan press,1968,P2- 7.

53- عبد السلام، احمد الشيخ، مقدمة في علم اللغة التطبيقي، ص67- 68.

54- عمايرة، خليل، في نحو اللغة وتراكيبها، ص21- 22.

55- انظر Lado , Robert , Linguistics Across Cultures ,P11

56- انظر: فتيح، محمد، في علم اللغة التطبيقي، ص10، وانظر: صيني، محمود إسماعيل و الأمين، إسحاق، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ص1

والصعوبات التي تواجه الدارسين لكن بقي تأثير كل من العالِمَيْن فريز ولادو على الدراسات اللغوية النظرية حتى أواخر الخمسينات بينما ظل أثرهم التطبيقي واضحاً حتى وقتنا الحاضر.

لكن ما يجب أن نتنبه إليه هو أن حركة التحليل التقابلي قد استمدت جذور فرضياتها من التقابل اللغوي للنظرية البنيوية "Structuralism Theory" "1942م" ومن أبرز روادها العالم الروسي "ياكبسون" "Jakobson" فكان حظ تطبيق هذه النظرية وافراً على عملية تعلم اللغات الأجنبية بسبب الحاجة لتعلمها خلال الحرب العالمية الثانية، ومن بعدها النظرية السلوكية في علم النفس "Behavioral theory" "1949م" ومؤسسها العالم الغربي بلومفيلد "Bloomfield"، فـ"المدرسة الوصفية البنيوية لدراسة اللغات قد تأثرت في مدخلها ومنهجها بمدرسة السلوكيين في علم النفس خصوصاً في تركيز تلك المدرسة على وصف ظاهر اللغة فحسب دون النفاذ إلى باطنها، فقد كان اهتمام علماء اللغة المنتمين لهذه المدرسة منصباً على أبنية اللغة وأنظمتها الثلاثة الرئيسة وهي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، دون التطرق إلى النظام الدلالي"أو نظام المعاني"..."[57]، فاللغة في نظره هي عبارة عن استجابة كلامية للمثير فهي سلوك تخضع للملاحظة والتنبؤ والتفسير والقياس فركز بلومفيلد جهده في تطبيق الأساليب اللسانية الحديثة على طرق تعليم اللغات[58]، فذهب إلى تطبيق نتائج نظريته في عملية التحليل اللغوي، لأنه كان يرى إنها قائمة على الدوافع وردود الأفعال، فمن أهم ما تميز به هذا المنهج هو[59]:

1- التركيز على التركيب الشكلي للبناء اللغوي.
2- دراسة الظواهر اللغوية للغة وإهمال دراسة المعنى.
3- التركيز على اللغة المنطوقة مع إهمال اللغة المكتوبة.
4- المقارنة بين لغتين معينتين من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية لإيجاد أوجه الشبه والخلاف.
5- تبني المنهج التجريبي في دراسة اللغة.

فكان تأثير الأخيرة على عملية تعلم اللغات واضحاً جداً لارتباط النظرية السلوكية بعملية التعلم كونها ربطت نظريات تعلم اللغة بأي سلوك آخر، وعملية تعلم اللغات من وجهة نظر سلوكية ما هي إلا عملية اكتساب اللغة تدريجياً عن طريق إنشاء رابطة شرطية بين كل من المثير والاستجابة[60]؛ أي أن تعلم اللغة لا يختلف في شيء عن تعلم أي سلوك آخر لان اللغة هي "سلوك يتعلمه الطفل تدريجياً من خلال اكتسابه للعادات فهي إذن عادة سلوكية والعادة في علم النفس هي نمط من السلوك الذي تستثيره مواقف معينة بأسلوب آلي"[61]، وان عملية التعلم تخضع للظروف التي تتم فيها هذه العملية فالأفراد يتعلمون كل شيء بما في ذلك اللغة طالما يكونوا في الظروف ذاتها، فالسلوكيون ليس لديهم أي فرق بين تعلم اللغة وتعلم شيء آخر فليس هناك أية مواهب داخلية يمتلكها البشر سوى انه يمتلك القدرة على

57- خرما، نايف وحجاج، علي، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص84.
58- انظر: زكريا، ميشال، الألسنية المبادئ والإعلام،" بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983م"، ص232.
59- انظر: محجوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، ص41.
60- انظر: خرما، نايف وحجاج، علي، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص56.
61- انظر: Skinner, B.F ,Verbal Behavior, New York: Apple- ton- Century - crofts,1957.p.190.

التعلم، والتعلم أيضاً محكوم بالظروف فإذا خضع الناس للظروف نفسها فإنهم سيتعلمون بطريقة مشابهة[62]، فهذا التعلم إذن يستند على المثير والاستجابة والتعزيز، فالاستجابة لا بد أن تكون استجابة نشطة منتجة لا مجرد استجابة فهم أو استماع، بينما التعزيز فهو أمر ضروري لقيام الصلة بين المثير والاستجابة للمثير، فعالم اللغة الوصفي وعالم اللغة النفسي المهتمان بعملية التعلم للغات يستند عملهما على الملاحظة والاستنتاج، فعالم اللغة الوصفي يقوم بدراسة اللغة كما يستخدمها الناطقون الأصليون بها ثم يقوم بوضع ملاحظاته واستنتاجاته من خلال استقراءه للنظام اللغوي للغة، وبالمثل نجد العالم النفسي السلوكي يقوم بملاحظة الشخص المتعلم ثم يرصد كيفية حدوث عملية التعلم والكشف عن الأشياء التي تثيره وما هي الاستجابة التي تظهر عليه ومن ثم يقترح القوانين والقواعد التي يرى إنها هي التي تحكم عملية التعلم[63]، واستمرت جهود السلوكيين في هذا المجال وأثرت به تأثيراً بالغاً فتمخض عن ذلك طريقة جديدة في تعلم اللغات سميت بـ"الطريقة السمعية الشفوية""Aural-Oral" أو "الطريقة السمعية اللغوية" "Audio-Lingual"، واهم مبادئها تتلخص بما يأتي:

1- اللغة أساسها الحديث قبل أن تكون كتابة أي أن الشكل الشفوي للغة ظهر قبل الشكل الخطي أو الرمزي لذلك يجب أن ينصب الاهتمام في تعليم اللغات على اللغة المنطوقة، فالسلوكيون يركزون على لغة الحوار والكلام الشفوي ولا يعيرون للشكل الكتابي أية أهمية تذكر لأنهم يعتقدن أن النظام الكلامي سبق النظام الكتابي لان اللغة هي نظام صوتي بالدرجة الأولى.

2- وجوب إجراء مقارنة بين اللغة الأم واللغة الأجنبية على أسس علمية خاضعة للمنهج التجريبي.

3- يجب أن تكون عملية تعلم اللغات الأجنبية في بيئة طبيعية وحقيقة، فلا تعتمد المواقف المصطنعة، فكلما كانت الطرق التعليمية واقعية كان اثر التعلم أكثر استجابة وأسرع في الفهم والاستيعاب.

وخلال حقبة السبعينات ظهرت اتجاهات متميزة أخرى في التحليل التقابلي واختلف هذه الاتجاهات حسب توجهات دارسيها، ومنها اتجاه أولار "Oller" وأتباعه الذين ذهبوا إلى أن الدراسة التقابلية من الناحية الصوتية تساعدنا على معرفة نواحي الصعوبات التي تقابل الدارس، فهذه الصعوبات ليست بالضرورة هي مواضع اختلاف بين اللغتين بل ربما تنتج الصعوبات من خلال مواضع التشابه أيضا، فالتحليل العملي يدل على وجود بعض الصعوبات من اللغة الأجنبية سواء كانت الأصوات متشابهة أم مختلفة، هذا من جهة، وقد تكون الأصوات السهلة هي ما نتج عن التشابه في الأصوات الصعبة من جهة أخرى، فلم تعد اللغة الأجنبية تُعلَّم كونها ظاهرة مكتوبة بل بعدِّها ظاهرة صوتية، فكان الاهتمام بالنطق من أولويات متعلم اللغة، فهي الأصل في تعليم اللغات الأجنبية فبدون النطق الصحيح سيؤدي إلى وقوع أخطاء دلالية ومن ثم عدم قدرة المتعلم على التواصل مع متكلمي اللغة الهدف، في حين أن الكتابة تأتي في المرتبة الثانية من مراتب تعليم اللغة، ثم حدد علماء اللغة التطبيقيون أن تعليم نطق أصوات اللغة المتعلمة هي الأساس في تعليم الكتابة، فيبدأ تعليم اللغة بالجانب الصوتي ثم تأتي عملية تعلم كيفيات الكتابة بعد ذلك، مع ملاحظة أن الفروق بين البنية الصوتية للغة ونظام كتابتها يشكل صعوبات في عملية التدوين[64]، فأهمية الدراسات التقابلية لا تكمن في عملية التنبؤ بالصعوبات عبر دراسة النقاط التي تختلف فيها اللغتان وإهمال النقاط

62- انظر: خرما، نايف وحجاج، علي، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها: ص66.

63- انظر: المصدر السابق نفسه، ص185.

64- انظر: حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، "القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م"، ص52-53.

التي تتشابه فيها، فكثير من الأخطاء تكثر بين اللغات المتشابهة لكن الدراسة التقابلية مفيدة إذا استعملت كوسيلة لشرح الأخطاء وتفسيرها لا للتنبؤ بها فقط، كما إنها مفيدة أيضا في مساعدتنا لاكتشاف اقصر الطرق للعلاج[65].

الخاتمة والنتائج:

بعد عملية البحث المضنية في أمهات الكتب العربية، للتعرف على جذور هذا العلم توصل البحث إلى أهم النتائج التي اعتمدت بالدليل القاطع على النصوص وبشكل لا يقبل الشك، وركزت هذه النتائج على ما يأتي:

1- ان دخول الأقوام غير العربية للإسلام دفع العرب للوقوف على مسألة تعليم العربية وتعلمها بشكل صحيح حتى يحافظوا على معاني القرآن.

2- الإهتمام بتدريس اللغة العربية للاعاجم وتعليمهم النطق الصحيح، لئلا يحدث خلل في إيصال المعنى.

3- لم يهتم علماء العرب القدامى بوضع مصطلحات لمفاهيم كانت تُعنى بعلم اللغة التقابلي.

4- إهتم سيبويه ببيان الفروق الصوتية بين العربية والفارسية في كتابه (الكتاب)، كذلك كانت له أرآء تقابلية في الجانب الصرفي أيضاً، فقدم سيبويه درساً مفصلاً في التعامل مع الإختلاف والتشابه بين لغتين.

5- ان جهود أبو عبيد القاسم بن سلام تركزت حول تحديد أوجه الشبه والإختلاف بين العربية والسريانية.

6-لا أحد ينكر جهود عالم العربية الجاحظ في هذا المجال خصوصاً في كتابه (البيان والتبيين) وهو يتعرض لهذه الظاهرة بشكل مفصل، وفي أكثر من مكان وهو يقارن العربية الفصحى مع اللغات الاعجمية الأخرى، بينما لم يكن متقناً للغات الأخرى بشكل يمكنه من الكلام بها.

7-يعد الجاحظ هو الذي وضع أسس علم اللسانيات التقابلية من خلال ما ذكره في كتابه البيان والتبيين.

8-الجاحظ أسس لمسألة التداخل والنقل اللغوي لكن دون وضع مصطلحين خاصيين بهما.

9- لا يخفى جهد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي وهو يقابل بين الأحرف العربية وبين أحرف اللغات الأخرى، في حين نجد حمزة الاصفهاني يفصل في التقابل بين اللغات ويركز على الحروف ووجودها في لغة دون أخرى وكيفية نطقها ولفظها لأن أصله الفارسي وثقافته العربية مكنته من ذلك.

10- ان دور ابن جني واضح في تفصيل القضايا الصوتية تقابلياً خصوصاً بين العربية والفارسية، وأستمر الجهد التقابلي عند علماء العربية القدامى حتى فترة متاخرة وصولاً إلى ابن خلدون إذ ذكر في مقدمته مجموعة من الآراء التقابلية الصوتية بين اللهجات العربية واللغات الاعجمية.

11- لم نجد أي ذكر للجهود العربية عند علماء الغرب في حديثهم عن علم اللغة التقابلي.

وعليه فان جميع الدراسات العربية القديمة أكدت دور علماء العرب في تحديد المفهوم العام لعلم اللسانيات التقابلي، في حين وجدنا ان هذا الدور ركز على الجانب الصوتي لما له أهمية في فهم اللغة وتحديد دلالاتها.

65 انظر: John W. Oller and seid M. Ziahossieny ,The Contrastive Hypothesis and spelling errors ,Language Learning , Ann Arbor : The University Michigan.P183- 189.

المصادر والمراجع

1. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص: تحقيق: محمد علي النجار ،"القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1952م".
2. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، "بيروت: دار الكتاب اللبناني1961م"،
3. ابن فارس، أبو الحسين احمد، الصاحبي، تحقيق: السيد احمد صقر، "القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1977م"
4. الأصفهاني، حمزة بن الحسن"280-360هـ"، كتاب التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق: محمد اسعد طلس ،"بيروت: دار صادر، ط2، 1992م"،
5. الأندلسي، ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام ، "مطبعة الأمام: د.ت".
6. البرازي، مجد محمد باكير، فقه اللغة العربية، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، "1987م".
7. التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، "الكويت: دار سعاد الصباح". د ت
8. التوحيدي، أبو حيان، كتاب الإمتاع والمؤانسة، "دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، 1939م"
9. الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة العربية وأسرار العربية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، "القاهرة: دار الفكر العربي، 2000م"
10. الجاحظ، البيان والتبيين، "دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م"،
11. حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، "القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م"،
12. حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، الكويت: وكالة المطبوعات، "1973م".
13. حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة المجالات والاتجاهات، القاهرة: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، ط4، "2006م".
14. حرما، نايف وحجاج، علي، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ،الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد126، "1999م".
15. حرما، نايف."1979م"، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
16. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، "القاهرة: عالم الكتب، ط2، 2000م"،
17. الرازي، أبو حاتم، الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، تحقيق: حسين الهمداني، "القاهرة: 1975- 1958م"،
18. زكريا، ميشال، الألسنية المبادئ والإعلام،" بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983م"،
19. السامرائي، إبراهيم، الجاحظ وعلم اللغة، "بحث"، "دمشق: مجلة الثقافة، تموز، 1987م"،
20. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، "لبنان: دار الجيل"
21. شاهين، توفيق محمد، علم اللغة العام، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، "1980م".
22. شاهين، عبد الصبور، في التطور اللغوي، "لبنان: مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م"
23. صيني، محمود إسماعيل والأمين، إسحاق، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، "الرياض: عمادة شؤون المكتبات، مطابع جامعة الملك سعود، ط1، 1982م"،
24. عبد السلام، احمد الشيخ، مقدمة في علم اللغة التطبيقي، ماليزيا: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية، ط1، "2004م".
25. عمايرة، خليل احمد، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، السعودية: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، "1984م".
26. فتيح، محمد"1989م"، علم اللغة التطبيقي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1.

27. كسيبي، نزيه، علم اللسان المقارن عند العرب ،"بحث"، "دمشق: مجلة الثقافة، عدد نيسان،سنة 1987م".
28. محجوب، فاطمة"د ت"، دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار النهضة العربية.
29. محمد، عمر سليمان، دراسة تقابلية بين اللغة العربية واللهجة الدنقلاوية على المستوى الصرفي، "بحث غير منشور"، "الخرطوم: بحث دبلوم، معهد الخرطوم الدولي، 1979م"،
30. هلال، عبد الغفار حامد، علم اللغة بين القديم والحديث، "القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ط2، 1986م"
31. الوعر، مازن، صلة التراث اللغوي باللسانيات
32. Fries , Charles, 1953. *Teaching and Learning English As a Foreign Language*, Ann Arbor : The University Michigan press.
33. John W. Oller and seid M. Ziahossieny ,The Contrastive Hypothesis and spelling errors ,Language Learning , Ann Arbor : The University Michigan
34. Lado , Robert , Linguistics Across Cultures , Ann Arbor : The University Michigan press,1968,
35. Skinner, B.F ,Verbal Behavior, New York: Apple- ton- Century - crofts,1957.